تعالى تعني ذنبي فلما قرنته بعفوي رجاء عفوي أعظما ۞ فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ۞
تجود وتعفو منة وتكرما ۞ وليت شعري ما الحبيب مجيبه ۞ أعنوا أم للتعذيب وإذ ما ۞
قال تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو
الغفور الرحيم وتأمل قضية الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم سأل راهبا فقال له هل لي من توبة
فقال له لا توبة لك فكمل به المائة ثم أتى عالما فسأله فقال له من يحول بينك وبين التوبة اذهب
إلى قرية كذا فإن بها قوما يعبدون الله فاعبد معهم حتى تموت فلما توسط الطريق أدركته الموت
واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إليهم أن قيسوا القرية التي خرج إليها
والقرية التي خرج منها فإلى أيهما كان أقرب فهو من أهلها فأوحى الله إلى القرية التي يريد أن تقارب
وإلى القرية التي خرج منها أن تباعدي فوجد أقرب إلى القرية بشبر واحد فتداركته ملائكة الرحمة وأحاديث
الصحيحين نقلته بالمعنى وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه العامة إذا أخوفوا خافوا
وإذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا ترجوا ومتى رجوا خافوا قال الخراب الصنف ومعنى كلام
الشيخ هذا أن العامة إذا وقفوا مع ظواهر الأمر وإذا خوفوا خافوا إذ ليس لهم تعمق لما وراء
العبارة بنور البصيرة وأما أهل الله وأهل الله إذا خوفوا رجوا عالمين أن مرد الخوف بهم وما خوفوا
به أوصاف الموجود الذي لا ينبغي أن يفنى مرد معتقد ولا ريب مرد منته واختلوا علم أو خاف ترمه
علما منهم بأخوفهم لا يجمعهم عليه وليس هو يذلك إليه وإذا رجوا فإنما جوا غيب مشيئته الذي
هو من وراء رجاء هو خافوا ولا يكون ما تخوفوا الرجا اختبار الغفور لهم هل تقفا مع الرجا أو
تتعدى الرجا بلا من مشيئته فلذلك إذا الرجا خوفهم انتهى ودخل الجنيد رضي الله عنه على
شيخه السري فوجده مغموما فقال له ما لك أيها الشيخ مغموما فقال دخلت على شاب فقال له ما حقيقة
التوبة فقلت له لا تنسى ذنبك فقال الشاب بل التوبة أن تنسى ذنبك ثم خرج فقال الجنيد فقلت
الصواب ما قاله الشاب لأنه إذا كتب بحالة الجفا ثم تقلبه الرشد فهو الصفا فهذا الجفا ما الصفا
جعله فقلت ثكلتك السري الراهل البداية وثكلتك الجنيد الراهل النهاية والصواب والله تعالى
أعلم فتنبه كما هو حبيب تصغير الذنب فقال فإن مر عرف ربه أمنته فخفي عنه كرم ذنبه فقلت
يرى من عرفه ثاب عن روية ذنبه لعظمه عن نفسه يشهد ربه فإن صد رمنه وجعل يخالف
الخصمة غلب عليه شهود النعمة قال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأما قوله تعالى وأن عذابي

هو العذاب الأليم وإنما هو لمن يتب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذنبتم حتى تبلغ خطاياكم
عنان السماء ثم تبتم لغفر الله عليكم ولو أن العباد لم يذنبوا لذهب الله بهم ولجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم والله أعلم بنوبة عبده من الخطأ أو الوارد ومن الغفلة
الوالد ومن الخيال الواجد فلا كي لا ينبغي أن يصغر قوبه حتى يغتر بعلم الله وإذا هو الله تعالى
لمن داود عليه السلام يا داود قل لعبادي الصديقين لا يغتروا إذا أنعم عليهم عدل فحسب
أعد بهم غير كالمولى لهم وقل لعبادي العدل نبيين لا يفتخروا إذا لا يجعلوني عن ذنب أنعم لهم وقال
الجنيد رضي الله عنه إذا بدت عين من الشرع المحقت العين بالحس وقال الشيخ أبو العباس رضي الله
عنه حزم الله معصيتك فإذا تبت بالطاعة وطاعتك فإذا تبت بالمعصية فهي أيضا أخاف وهي أيضا
أرجوا أو قلت بالمعصية فابلتني بعدك فلم تدع لي خوفا وإن قلت بالطاعة فابلتني بعدك فلم تدع
لي رجاء فليت شعري كيف أرى أحسانك مع أحسانك أو كيف أجهل فضلك مع عصيانك وهو معنى
كلام الشيخ رضي الله عنه أن العبد إذا كان في المعصية شهد فقرية الحق وعظمته وضعف نفسه وعجزه
واكتسب من المعصية انكسارا وذلا لنفسه وتعظما وإجلالا لربه وهذه أفضل الطاعات فقد
تأدبت معصيته التي هي فيها بالطاعة التي يجتنبها منها وإذا كان في الطاعة ربما شهد فيها
نفسه وفضله منته وحظه وافتخر بربه واختل بأدبه وهذه معصية وإذا كان في الطاعة
تأدبت بعده المعصية التي يجتنبها منها فلا يأمن من أن يهضم أيضا وأيضا يرجوا وقوله أن
قلت بالمعصية أي إن تغيرت الصورة المعصية فابلتني بعدك وأفنى اسمها وانطمس
رسمها وإن تغيرت الصورة الطاعة فابلتني بعدك وأضحلت وامحت ويغمر محق الرجا
من الكريم أو هلك الذي يعطي بالسبب ويخفي تجلعه المنافشة والعتاب والله تعالى أعلم
فتفصل أن العارف لا يقف مع معصية وإن طلت ولا مع طاعة وإن عظمت وهو معنى قوله لا صغيرة
إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله فلت الصغيرة هي التي يعتد الآدمي فيها من
القرآن ولا من الحديث والكبيرة هي التي نوعيه عليها بالعذاب أو التهديد بالقرآن أو السنة
وقيل غير ذلك هذا أقل بالنظر الظاهر الأمر وأما باعتبار ما عند الله من أمر غيبه وبالنظر إلى حلمه
وعدله فقد يسير ظلك ما يخفى قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم سبقت له
العناية لا تضر الجناية وإلا لم يبد الله سيئاتهم حسنات وإن كانت الأعمال علامات

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)